رأي القدس

تقرير بيكر: نقاط القوة والضعف

■ عكس تقرير مجموعة العمل بشأن العراق الذي اشرف على اعداده جيمس بيكر وزير الخارجية الامريكي الاسبق حالة التأزم التي تعيشها ادارة الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش والمحافظون الجدد الذين سيطروا على دائرة صنع القرار فيها، ووجهوها لخدمة المصالح الاسرائيلية.

النقطة الاهم في هذا التقرير تمثلت في المطالبة بالانسحاب الامريكي العسكري من العراق، سواء الى قواعد محصنة داخله أو في الدول المجاورة، واشراك دول الجوار، وخاصة سورية وايران، في الجهود الرامية الى اعادة الهدوء والاستقرار الى هذا البلد الذي مزقته الحرب الاهلية الطائفية.

الرئيس بوش غير ملزم قانونيا بالتوصيات التي تضمنها التقرير، فالمجموعة التي اصدرته تشكلت بقرار من الكونغرس. وقد استبق صدور التقرير بالاعلان عن استمرار وجود القوات الامريكية في العراق حتى تنجز مهمتها كاملة، الامر الذي يعني عدم تنفيذ التوصية بسحب القوات الامريكية في غضون عام من الان.

وكان لافتا ان روبرت غيتس وزير الدفاع الامريكي الجديد، والذي كان عضوا في مجموعة جيمس بيكر هذه، لم يتردد في الادلاء بتصريحات تتعارض مع موقف رئيسه بخصوص الانسحاب، عندما قال ان القوات الامريكية لا تحقق نصرا في العراق، ملمحا الى تأييده التوصية التي تطالب بسحب هذه القوات. فعدم تحقيق انتصار يعني الاقرار بالهزيمة، والا ما فائدة ان تبقى هذه القوات، والخسائر الضخمة التي تترتب على وجودها، ماديا وبشريا، اذا كانت لا تحقق النصر، وبالتالي الاهداف، التي ذهبت الى العراق من اجل تحقيقها.

التقرير في رأينا انطوى على تقديرات خاطئة للوضع في العراق وكيفية وقف الحرب الاهلية الطائفية التي تحصد ارواح المئات من ابنائه يوميا. ويمكن ايجازها في النقاط التالية:

● اولا: تجاهل التقرير الطرف الاساسي المؤثر حاليا في العراق، وهو المقاومة بمختلف فصائلها، ولم يطالب صراحة بضرورة اجراء حوار معها، فالمقاومة هي التي افشلت المشروع الاحتلالي الامريكي في العراق، وهي التي جعلت نفقات هذه الاحتلال باهظة ماديا وبشريا. فعمليات الجناح العسكري للجيش الجمهوري الايرلندي لم تتوقف الا بعد تخلي الحكومة البريطانية عن عنادها، وانخراطها في مفاوضات مع ممثلي الجيش السياسيين، وهي المفاوضات التي قادت الى السلام الحالي في ايرلندا الشمالية.

● ثانيا: طالب التقرير باشراك سورية وايران في المحاولات الرامية الى اعادة الهدوء الى العراق، ولكنه استثنى في الوقت نفسه، دول الجوار العربية والاسلامية الاخرى، وهذا خلل خطير يكشف عن قصر نظر من قبل واضعيه. مضافا الى ذلك ان الذين يتصدرون الحكم الحالي في العراق هم من حلفاء ايران، وقد فشلوا فشلا ذريعا في فرض الامن والاستقرار وتشكيل حكومة تمثل كل العراقيين، وليس الطائفة التي ينتمون اليها فقط.

● ثالثا: ركز التقرير على ضرورة ايجاد حل للصراع العربي ـ الاسرائيلي، وانتقد الادارة الامريكية التي اهملت هذا الملف في السنوات الماضية، ولكنه لم يقدم حلولا مقبولة تأخذ في الاعتبار مصالح الطرف العربي والفلسطيني خاصة. ولم يتطرق الى الممارسات الارهابية الاسرائيلية وصمت الادارة الامريكية عليها، الامر الذي جعل توصيته في هذا الخصوص تبدو مغرقة في التعميم.

وفي جميع الاحوال يظل هذا التقرير مفيدا من حيث كونه اول اعتراف امريكي واضح بفشل الاحتلال الامريكي في العراق، وخطورة استمراره في ظل التدهور المستمر وتصاعد عمليات القتل في اوساط العراقيين وقوات الاحتلال على حد سواء.

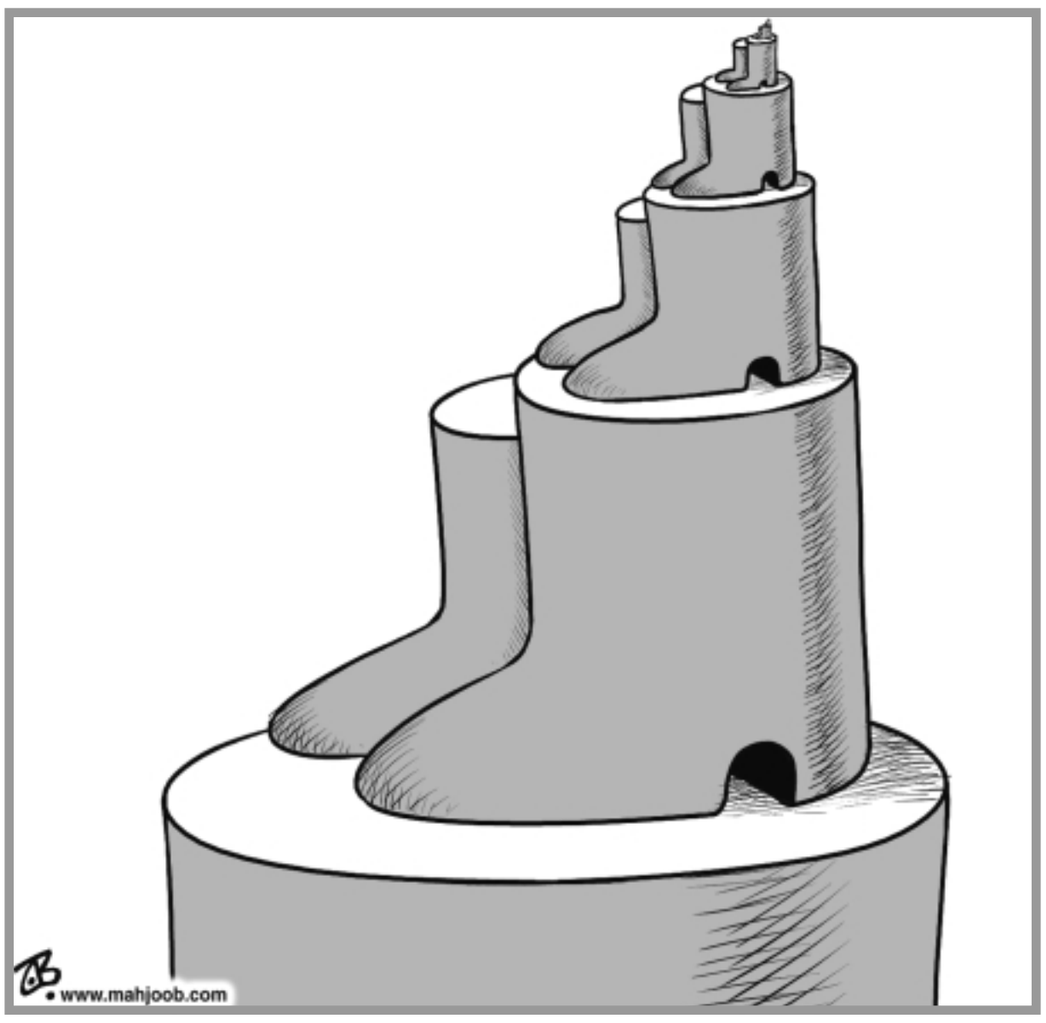

تحول العراق الى مفتاح لأزمات المنطقة

د. بشير موسى نافع *

■ أقيم المشروع الامريكي لغزو واحتلال العراق على فرضية ان بغداد ستكون المركز والمنطلق لاعادة صياغة المنطقة العربية. ما تصوره عرابو المشروع ان العراقيين في أغلبيتهم سيرحبون بالغزاة كمحررين، الأقلية الصغيرة التي ستعارض سيمكن بسهولة ويسر تحييدها واجبارها على قبول الواقع الجديد. تحت ظل الاحتلال، سيبنى عراق جديد، عراق علماني، ليبرالي، تعددي، تتصارع قواه السياسية على الحكم والسلطة، ولكنها لا تختلف على التحالف مع الولايات المتحدة. سيخرج العراق من دائرة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، وتستخدم مدخولات نفطه الهائلة لبناء ازدهار استهلاكي مبهر. بقوة السلاح وصورة الاحتلال المهيمنة، كما بقوة وجاذبية النموذج، سيصبح العراق نموذجاً لدول المنطقة الأخرى، من ايران الى سورية، ومن السعودية الى مصر، التي ستسقط الواحدة منها تلو الأخرى في المجال الامريكي الجديد. ومن السيطرة على العراق والشرق الأوسط، تتحقق السيطرة الاستراتيجية على مقدرات العالم بأسره، ويصل الانتصار الامريكي في الحرب الباردة الى نتائجه المنطقية. «هيمنة شاملة» كان المصطلح الذي يتردد في جنبات وزارة الدفاع الامريكية، حيث ولد المشروع ونفذ. بعد أربعة وأربعين شهراً على الغزو والاحتلال، أصبح العراق بالفعل عقدة المنطقة. ولكن بدلاً من أن يكون بوابة مشروع الهيمنة الشاملة تحول الى مفتاح لعدد مترابط ومتفاقم من الأزمات، التي تهدد النفوذ والمصالح الامريكية.

لم يكد المحتلون يتعرفون على ملامح المدن العراقية، حتى انطلقت بوادر مقاومة وطنية، غطت معظم البلاد. في البداية، حاولت الادارة الامريكية تفسير المقاومة باستدعاء ظواهر تاريخية مشابهة، كالمقاومة النازية قصيرة العمر في نهايات الحرب العالمية الثانية. وحتى بعد ان استخدم خطاب الأقلية والأكثرية، وتحميل العراقيين العرب السنة مسؤولية سياسات النظام السابق، في محاولة لتحطيم البنية المعنوية للمناطق المناهضة للاحتلال، استمرت وتيرة المقاومة في التصاعد. لا حملات القمع الامريكية العسكرية البشعة، لا بناء الدولة الجديدة على أساس طائفي ـ اثني، ولا حملة الخلط المقصودة بين المقاومة والارهاب استطاعت وضع حد للمقاومة. وشيئاً فشيئاً، فقد المحتلون وحلفاؤهم القدرة على حكم العراق أو حتى القدرة على تقدير صحيح للموقف. لا العملية السياسية المشوهة حققت النتائج التي رجتها واشنطن منها، ولا اقناع بعض القوى والشخصيات السنية في الالتحاق بالعملية السياسية أعطى للدولة الجديدة الشرعية التي افتقدتها منذ لحظة الولادة.

احدى أهم الوسائل التي لجأت اليها الادارة الامريكية لاستيعاب الاخفاق المتزايد في العراق وتحقيق بعض النجاح كان قلب استراتيجية الهيمنة على رأسها. بدلاً من ان يكون العراق بوابة انقلاب المناخ الاستراتيجي في المنطقة، أصبح تغيير المناخ الاستراتيجي الاقليمي شرطاً للنجاح في العراق. الأهداف البعيدة السابقة للمشروع، مصر والسعودية وما خلفهما، أجلت أو استبعدت من دائرة الأهداف الى اشعار آخر. وأخذ الاستهداف الامريكي لسورية، ايران، وفلسطين، في التصاعد. اتهامات متلاحقة لسورية بالتعاون مع الارهابيين وتسهيل تحركهم الى العراق، وتهديد للوضع السوري في لبنان وللنظام السوري نفسه. اطلاق اليد الاسرائيلية لسحق المقاومة الفلسطينية، حتى ان استدعى ذلك ايقاع الدمار بحياة ومعاش الفلسطينيين. اسقاط حق الايرانيين القانوني الدولي في تطوير تقنية نووية سلمية، والربط بين البرنامج النووي الايراني وصورة ايران كدولة مارقة تهدد السلم الاقليمي والعالمي.

بيد ان سياسة الهجوم التي اتبعتها واشنطن في المنطقة، من المتوسط الى الخليج، انتهت نهايات كارثية. لم تشتعل حرب أهلية فلسطينية بعد الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة؛ وما ان أعلنت نتائج الانتخابات البرلمانية في الضفة والقطاع (التي اعتبرتها واشنطن احدى نجاحاتها الرئيسية) حتى كانت حماس تتسلم قياد الحكومة الفلسطينية. بالرغم من الاغراءات والتهديدات، اختار الفلسطينيون طريق المقاومة والتخلي عن أصدقاء الولايات المتحدة وحلفاء سياستها. وبعد تصفيق أمريكي طويل للانتخابات، فرضت واشنطن على حلفائها الأوروبيين مقاطعة الحكومة الفلسطينية الجديدة ومعاقبة الشعب الفلسطيني بالتجويع على خياره الديمقراطي. ولكن المشكلة ليست مشكلة أمريكية وحسب، بل هي أيضاً مشكلة النخبة الفلسطينية الحاكمة التي ترفض القبول بالخيار الشعبي وتنظر بعين الرضى للمقاطعة الدولية للشعب والحكومة التي تقودها حماس. وبالرغم من شهور طويلة من التفاوض الفلسطيني الداخلي حول انشاء حكومة وحدة وطنية، وتقديم حماس تنازلات جوهرية للتوصل الى توافق وطني، يعود الرئيس الفلسطيني ومستشاروه لمحاولة اسقاط الحكومة، مما يدخل الوضع الفلسطيني الى حالة غير مسبوقة من التأزم واحتمالات الصدام الداخلي.

في ظل أجواء التصعيد الامريكي ـ الفرنسي ضد سورية، اغتيل الرئيس الحريري في بيروت. وقد وجدت دمشق نفسها محل اتهام وقررت بالتالي انسحاباً عسكرياً كاملاً من لبنان. ولكن الهدف لم يكن دفع سورية الى انهاء وجودها العسكري وحسب، بل وتحويل لبنان الى قاعدة معادية لسورية، الى مصدر ضغط وابتزاز للنظام السوري، والى منطقة «محررة» من قوى المقاومة والعداء للدولة العبرية والسياسة الامريكية. لم تمض الأمور في لبنان بالسرعة التي أريد لها، وجاءت الانتخابات اللبنانية (بالرغم من كل تحالفاتها السيئة) لتوفر للمقاومة الاسلامية حماية سياسية الى جانب الحماية التي يوفرها الاستعداد المسلح. عندما أصبح واضحاً ان الحكم اللبناني الجديد غير قادر على نزع سلاح حزب الله، كان لابد من اللجوء الى الوسيلة الاحتياطية الدائمة: الجيش الاسرائيلي. ولكن نتائج الحرب الاسرائيلية على لبنان انتهت بكارثة مزدوجة، كارثة على السياسة الامريكية وكارثة على الدولة العبرية. ولكن تلك لم تكن نهاية الطريق، فما أخفقت الحرب في تحقيقه أريد تحقيقه بالقرار الدولي والحلفاء اللبنانيين. وكما أوصلت السياسة الامريكية الوضع الفلسطيني الى التأزم، دفعت بلبنان الى تأزم أكثر فداحة وتفاقماً.

وحتى الملف النووي الايراني، الذي استطاعت واشنطن حشد مختلف حلفائها الأوروبيين ضده، لا تسير أموره على ما يرام. فمن ناحية، وفر الاخفاق الامريكي في العراق واحدة من أكبر الفرص لايران، التي تحولت الى لاعب أساسي في الساحة العراقية، بينما تنظر طهران الى قوات الاحتلال الامريكية في العراق باعتبارها رهينة. لا الصين ولا روسيا على استعداد للذهاب بعيداً في تأييد مشاريع العقاب الدولية للايرانيين، وليس من السهل بعد ما انتهت مغامرة العراق الى ما انتهت اليه اقناع الرأي العام الامريكي بحرب جديدة في الشرق الأوسط بدون تقديم أدلة قاطعة على وجود برنامج تسلح نووي ايراني. خيارات الادارة الامريكية تضيق، وعلى واشنطن ان تقبل بالبرنامج الايراني النووي أو ان توجه ضربة جوية للمنشآت الايرانية، تثير غضب العالم، لا تضمن وضع نهاية للبرنامج الايراني، وتدخل القوات الامريكية في العراق الى دائرة خطر جديدة.

بيد ان العراق ليس مركز الاخفاق السياسي الامريكي في المنطقة وحسب، بل بات أيضاً مركز أزمات القوى السياسية المحلية والاقليمية. التوتر المتصاعد بين ايران وحلفائها من جهة، ومصر والسعودية من جهة أخرى، يتعلق أساساً بالعراق وليس بالوضع اللبناني الداخلي. حتى فترة قصيرة، كانت القاهرة والرياض تؤيدان وقوف حزب الله في مواجهة الدولة العبرية، بل وساهمتا مساهمة مباشرة في توفير ما يمكن من حماية للبنان في السنوات الأخيرة من حرب تحرير الجنوب. وحتى وقت قريب، كانت العلاقات الايرانية بالسعودية ومصر تسير سيراً حسناً، ليس فقط باتجاه التطبيع، بل أيضاً باتجاه التفاهم. ولكن تدهور الوضع الطائفي في العراق، وبروز مؤشرات متزايدة على دور ايراني نشط في الساحة العراقية، يهدد بتحول العراق الى ساحة صراع عربية ـ ايرانية. حزب الله أيضاً يتأثر سلباً بالوضع المتفاقم في العراق. قوة حزب الله هي في الاجماع العربي والاسلامي الهائل حوله، الاجماع الذي بدأ في التبلور منذ النصف الثاني للتسعينات. وقد شهد العالم خلال أسابيع الحرب الاسرائيلية الأخيرة على لبنان، كيف وقف الشارع العربي من جديد خلف مقاومة الحزب للغزو. ولكن مشكلة حزب الله اليوم هي في غموض موقفه من المقاومة العراقية، كما في تدهور الوضع العراقي الطائفي وزاوية النظر الى هذا التدهور. على هذه الخلفية من اضطراب موقف الحزب من المسألة العراقية، أتيحت لخصومه في الساحة اللبنانية اضفاء بعد طائفي على صراع هو في جوهره صراع سياسي. ويلقي العراق بظلاله على الوضع السوري من أكثر من زاوية. شركاء سورية السابقون في القاهرة والرياض قلقون من التحالف السوري ـ الايراني، ويرون فيه اضعافاً للوضع العربي. وفي حين تلوح الدوائر الامريكية والأوروبية بورقة الانفتاح على سورية، فان الشارع العربي القومي والاسلامي، الذي أبدى تعاطفاً كبيراً مع دمشق خلال العامين الماضيين، سينظر نظرة سلبية الى أي تحول في السياسة السورية يؤدي الى تعزيز المشروع الامريكي واضعاف المقاومة.

ثمة تقارير وشائعات وقراءات صحافية لا تنتهي حول ما تعتزم الادارة الامريكية القيام به في العراق. الحقيقة ان الادارة لا تعرف ما الذي ستقوم به. استقالة رامسفيلد، أو بالأحرى اقالته، لم تكن تعبيراً عن وضوح في الرؤية. فوزير الدفاع الذي قاد الغزو وأدار الاحتلال، وأحاط نفسه بعرابي مشروع الغزو والاحتلال من حراس الدولة العبرية ومصالحها في واشنطن، كان يعرف ان المشروع قد أخفق. تقرير لجنة بيكر قد يوفر غطاء لسياسة جديدة، ولكن ذلك ليس مؤكداً بعد، لأن الادارة ليست ملزمة باتباع توصيات اللجنة. المشكلة الأساسية لم تزل باقية: ان الادارة الامريكية لا تريد الاعتراف بأن المشروع من أساسه كان خطأ وخطيئة، وأنه انتهى الى الاخفاق، وأن سياسة الهروب من العراق بمحاولة احراز نجاحات في مناطق أخرى كانت هي الأخرى سياسة خاطئة، وأن علاج المسألة العراقية الوحيد هو الانسحاب الكامل والنهائي والتعهد بالتعويض على العراق وشعبه. بهذا فقط يمكن فك ارتباط العراق بسلسلة الأزمات الأخرى، والتعامل مع سورية ولبنان، فلسطين، وايران، على أساس معطيات كل مشكلة.

بيد ان القوى الاقليمية مطالبة هي الأخرى بتحديد مواقفها من المسألة العراقية والعمل على التوصل الى تفاهم اقليمي ينزع الفتيل من الصراع العراقي الداخلي ومن احتمالات تحول العراق الى ساحة للصراعات الاقليمية. ان الاستراتيجية الامريكية في المنطقة تنهار أمام أعين العالم أجمع. باخفاق المشروع الامريكي يعود العراق، بكل تعقيداته، مسؤولية المنطقة العربية في شكل أساسي. وربما ليس من الممكن التوصل الى تصور عربي اجماعي بدون عودة التحالف المصري ـ السعودي ـ السوري الى الحياة والفعالية. كل ما قيل عن ان الأردن قد احتل موقع سورية في التحالف الثلاثي ليس الا قبض الريح. فالأردن غير مؤهل للعب مثل هذا الدور. وفقط بعد تبلور تصور عربي لمستقبل العراق يمكن التوصل الى تفاهم مع ايران حول حدود المصالح الايرانية في العراق. وربما سيفتح التحرك العربي في العراق الباب لحل الأزمات الأخرى التي ولدتها السياسة الامبراطورية الخرقاء للادارة الامريكية.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

العرب ومأزق الولايات المتحدة

د. يوسف نور عوض *

■ في اعقاب الهجوم الإرهابي على نيويورك كان العالم كله يتساءل عن القدرة الأمريكية الحقيقية على حماية أراضيها، فالمسألة لم تكن فقط منحصرة في مجموعة من الاشرار دبروا عملا عدائيا ضد الولايات المتحدة بحسب ما تقوله الإدارة الأمريكية بل تجاوز ذلك إلى فشل المخابرات ووسائل الدفاع عن حماية الاراضي الامريكية، وتساءل الكثيرون عن الدمار الذي كان يمكن أن تتعرض له الولايات المتحدة لو أن الهجوم تم باسلحة أكثر فتكا. ولكن الإدارة الأمريكية صرفت النظر عن كل ذلك وأوجدت لنفسها عدوا سياسيا قدمته في صورة الشرير من أجل إمتصاص الغضب الامريكي وخدمة المصالح الإسرائيلية، ولكن حتى في هذا المجال اثبتت الإدارة الأمريكية فقرا في فهم ثقافات الشعوب ومعرفة قدراتها وخصائصها الإجتماعية وقد تجلى ذلك على نحو خاص عندما قررت الحكومة إسقاط نظام صدام حسين من أجل إقامة نظام ديمقراطي وقد إتخذت لذلك ذريعة أن صدام حسين كان يخطط لإنتاج قنبلة نووية، وهو تصور سخيف لان صدام حسين لم يكن له حتى جيش يدافع به عن بلاده في وجه العدوان الخارجي، وقد وجدت الولايات المتحدة سندا من الوكالة الدولية للطاقة الذرية التي أمسكت بالعصا من المنتصف ولم تتخذ موقفا حاسما يحدد قدرات صدام حسين الحقيقية، وبالتالي مهدت لغزو العراق وتدمير بنيته الاساسية وإدخاله في حرب أزهقت أرواح مئات الآلاف من الابرياء وجعلت العراق بلدا غير صالح للعيش في نظر كثير من ابنائه .. وكان قصور الفكر الامريكي مركزا في جانب واحد هو عدم فهمه لطبيعة التكوين المذهبي والطائفي في العراق وما يمكن أن يؤدي إليه إنفلات الحالة الامنية في هذا البلد، ولكن الصهاينة لم يكونوا مشغولين بهذا الامر لانهم بنوا وجودهم كله في منطقة الشرق الاوسط على القوة وبالتالي تصوروا أن تدمير أي قوة عربية سيصب في نهاية الامر في مصلحتهم المباشرة. وذلك تصور احمق اثبتت الأيام خطأه الفادح واليوم بعد وقوع الكارثة في العراق وأفغانستان فإن الكثيرين من الذين لعبوا دورا اساسيا في وقوعها يحاولون الهروب إلى الأمام وإضفاء شيء من النزاهة والإنسانية في مواقفهم، ويبدو ذلك واضحا في موقف الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان الذي ظل في جميع مراحل الإعتداء على شعبه متعاونا مع الإدارة الأمريكية ولم يقل كلمة واحدة في نقدها، ولكن عندما تبقت اسابيع قليلة في منصبه صحا ضميره وبدأ يوجه نقدا للتوجهات الامريكية في العراق وقال إن ما فعلته الولايات المتحدة الحق اضرارا كبيرة بالمؤسسة الدولية وقد بدأت الآن تتعافى من آثار تلك الأضرار، وبالطبع فإن ما قاله كوفي عنان ليست له قيمة سياسية وإنما هو يريد أن يبيض وجهه أمام المجتمع الدولي ليخرج نظيفا من المؤسسة التي واجهت في عهده أسوأ ظروفها كما تدل على ذلك مذابح رواندا وحربا العراق وأفغانستان والإعتداءات المتكررة على الشعب الفلسطيني والمحاولات المستميتة لإلحاق الضرر بالحكومة السودانية خدمة للمصالح الإسرائيلية.

ولم يكن كوفي عنان وحده الذي حاول أن يخرج نظيفا من مسرح المأساة بل أيضا وزير الدفاع دونالد رامسفيلد الذي تلطخت يداه بمقتل مئات الآلاف من العراقيين ولكنه يقول الآن إنه قدم قبل يومين من مغادرته مذكرة للرئيس الأمريكي لتصحيح الوضع في العراق ويحتفي البيت الأبيض بذلك وكأن دونالد رامسفيلد هو رجل الإنسانية الذي ينتظره العالم من أجل وقف مذابح العراق مع أن «بوب وود ورد» نشر في كتابه الشهير مذكرات بعث بها رامسفيلد إلى جنرالاته يحذرهم فيها من التدخل في قراراته ويطالبهم بتنفيذ جميع الأوامر التي تصدر إليهم منه، وأخيرا جاء دور مندوب الولايات المتحدة في المؤسسة الدولية «جون بولتن» وهو الذي لم يبتسم مطلقا إلا يوم مغادرته الأمم المتحدة وكانت كل مواقفه تتعارض مع المواقف الإنسانية السليمة وخاصة في تأييده المطلق لإسرائيل خاصة عندما تقوم بإعتداءاتها على الشعب الفلسطيني وايضا الإندفاع وراء السياسات الأمريكية الخاطئة في العراق ودارفور وغيرها من بقاع العالم ثم يأتي الأمين للأمم المتحدة كوفي عنان ليعتذر له ويقول إن بولتن كان فقط ينفذ سياسات بلاده وأنه جاء إلى الأمم المتحدة في ظروف صعبة تواجه فيها المؤسسة عملية الإصلاح وملفي إيران وكوريا الشمالية، وفي ذلك تبرئة لجون بولتن الذي يختلف الأمريكيون حوله ويعتقدون أنه مصدر المتاعب كلها، ولذلك لم يقر الكونغرس تعيينه في الامم المتحدة وقام الرئيس جورج بوش بتعيينه بقرار مؤقت ولكنه أدرك أخيرا ان الكونغرس الجديد لن يوافق على التعيين الدائم في شهر كانون الثاني (يناير) المقبل فطلب منه الإستقالة ليبدو وكأنه خرج من المنصب بإرادته.

وكعهد الإدارة الأمريكية فهي لا تريد أن تعترف بالفشل او تظهر أنها تعيش في عالم متغير، فقد دعا الرئيس جورج بوش رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وطلب منه ان يتعاون مع حكومة المالكي من أجل مقاومة معارضيه وأيضا مقتدى الصدر، وتلك سذاجة أمريكية جديدة لأنه من هو الذي يرى الولايات المتحدة في مأزق كمأزق العراق ثم يتقدم متطوعا لكي ينقذها من هذا المستنقع ؟ وقد ظهر ذلك واضحا في موقف عبد العزيز الحكيم الذي قال للرئيس بوش إنه يرفض الحل الإقليمي والدولي لمسألة العراق، وإن حل مشاكل العراقيين يجب أن تحل بايد عراقية وهذا إسقاط لكل المقولات التي بنت الولايات المتحدة تدخلها في العراق عليها، خاصة أن الولايات المتحدة بسذاجة بالغة تريد من بعض المنحازين لإيران وسورية ان يقفوا في صفها ضد هذين البلدين وهو أمر مستحيل، خاصة بعد أن تأكد أن الجيوش الكبرى لايمكنها أن تواجه المليشيات وقد تأكد ذلك من فشل الامريكيين في العراق كما إعترف بذلك وزير الدفاع الأمريكي الجديد «غيتس» وكما أثبتت ذلك الحرب الأخيرة بين إسرائيل وحزب الله.

ولعل أبلغ درس هو الذي قدمه رئيس الوزراء البريطاني «توني بلير» الذي اعلن بعد مساندته الكبيرة للولايات المتحدة في مغامراتها أنه يستهدف تطوير الدفاعات النووية البريطانية لمواجهة عهد جديد امتلكت فيه قوى معادية للعالم الغربي اسلحة نووية ويعني ذلك بإختصار شديد أن العالم لم يصبح أكثر امنا بعد الحرب على الإرهاب، وهو الهدف الذي ظل الرئيس بوش يردده من وقت لآخر كإستراتيجية اساسية في مغامراته في العراق وأفغانستان.

وإذا أردنا أن نطلق تعبيرا مختصرا على كل ما يجري في العالم الغربي الآن فنستطيع أن نقول إنه يعيش في حالة فوضى عارمة بسبب الخطأ في السياسات وفهم العالم بعقل قديم لا يعطي مساحة للتطورات الحادثة فيه.

ولكن على الرغم من كل هذا التحول فإن الحكومات العربية مازالت تعيش في ذلك الزمن القديم ويبدو ذلك من خلال تبني الجامعة العربية وبعض الدول العربية استراتيجيات تخدم المصالح الأمريكية والإسرائيلية وهي استراتيجية مجانية لا تعود عليها بالنفع ويبدو ذلك من خلال دعوتها لعقد مؤتمر إقليمي لا من أجل حل المشكلة العراقية بل من أجل مواجهة الخطر الإيراني، فهل هناك عاقل يعتقد أن إيران تمتلك قنبلة نووية من أجل أن تضرب بها الدول العربية وهل يحتاج ضرب الدول العربية إلى قنابل نووية، لماذا لا يفكر هؤلاء في حالة الهلع التي اصابت اسرائيل من التوجه الإيراني، ولماذا لا يفكرون في التراجع في القدرات الأمريكية وعدم فاعلية سياساتها في الشرق الأوسط؟ ولا نحتاج إلى بذل كثير من الجهد للإجابة على مثل هذه التساؤلات لأننا نعلم أن الحكومات العربية اصبحت تدير بلادها بالوكالة لا لخدمة مصالح أبنائها بل لخدمة المصالح الأمريكية دون مقابل، فهي لا تخفض الإنتاج النفطي لترفع الاسعار وتكون هي المستفيدة بل تزيد الإنتاج لكي ينخفض السعر وتكون هي المتضررة باستنفاد مصدر حياتها وبيعه باسعار زهيدة. ولا يوجد الآن بصيص أمل لتغيير هذا الواقع لأنه لا توجد نظم دولة في العالم العربي الذي هو محكوم بنظم عشائرية ونخبوية، ويظهر ذلك بشكل خاص في مصر التي تصيب العرب بالإحباط عندما يرون أن شعبها بكل ضخامته ومكانته لا يستطيع أن ينظم مظاهرة عامة ويبدو المتظاهرون في داخل مبنى الأزهر وكأنهم طيور في داخل اقفاصها، مع أننا نرى المظاهرات العامة تؤتي نتائجها في كل أنحاء العالم.

ومؤدى قولنا أن العالم العربي يعيش مرحلة خطيرة في حياته، وهي مرحلة تتطلب منه أن يحدد موقفاً حاسما من الولايات المتحدة واسرائيل وبدون هذا التحديد ستكون هناك خسارة مجانية متصلة وضياع للوقت لأن مستقبل الحكام العرب ليس مع الولايات المتحدة أوإسرائيل وإنما هي مع شعوبهم ومن يرى غير ذلك فهو مخطئ، والغريب ان اسرائيل والولايات المتحدة أدركتا ضعف قدراتهما وبدأتا في مراجعة حساباتهما ولكن الحكام العرب باستثناء السودان في موقفه الحاسم من دارفور لا يقومون بأي مجهود من أجل تحرير إرادتهم من العدوان الأمريكي ـ الإسرائيلي.

* كاتب من السودان

تبديد الأوهام

د. علي محمد فخرو

■ يستطيع المراقب أن يشهد فقر الفكر السياسي العربي المتداول، وفي أفضل تجلّياته، في تعامله مع المظاهرات المليونية وهي تجوب شوارع عاصمة المفاجآت والتضحيات وتدفّق الحيوية التي لا تهدأ. الحدث داخلي، حتى ولوتفاعل مع عوامل الخارج، والقائمون به هم رجال ونساء وأطفال ذلك البلد، والتظاهرات ديمقراطية سلمية حتى النخاع، وممارسة الحرية السياسية هي في أعلى صورها، لكن التعامل معها هو في أقبح وأسوأ أشكاله. ليست القضية في أن تكون مع هذا الفريق أو ضدّ ذاك، وانما في مشهد التعامل السريالي كما كانت تأتي به الأخبار تباعاً.

بعد وقت قصير من انطلاق الناس في الشوارع أعلنت الدولة العظمى، التي وقفت مع كل التظاهرات المليونية في كل دول أوروبا الشرقية ودول الاتحاد السوفييتي السابقة واعتبرتها ثورات سلمية ديمقراطية، أعلنت بأن مظاهرات العاصمة العربية السلمية القانونية الديمقراطية الشرعية هي تهديد للسلم والشرعية. كذا وبدون حياء، أن تسقط حكومة في أوروبا الشرقية بفعل ضغط الشارع فهذا حلال، لكنها أبغض الحرام عندما تكون في أرض العرب ـ مرّة أخرى يحلّلونه عاماً ويحرّمونه عاماً ويطلّ الوجه الاعلامي القبيح لينحر الأسس الكبرى للايديولوجية الديمقراطية وليظهر عدد المرات في كل يوم التي تتبدّل فيها الأقنعة دون أن ترفّ أجفان أصحابها.

ثمّ تتوالى المشاهد. مسؤول مبتعث يعلن أنه جاء ليحمل دعم سيّده لشرعية حكومة ذلك البلد. لكنه ينسى أن من تحوم الشكوك حول شرعية استلامة الحكم لا يمكن أن يوزّع صكوك الشرعية على الآخرين. مسؤول آخر يعلن بابتسامة المكتشف الفذ أن دستور وحكومة ومجلس نواب ذلك البلد هم شرعيون. لكنه يفشل في أن يكتشف بأن المظاهرات السلمية في ذلك البلد هي شرعية أيضاً. مسؤول من بلد ديمقراطي غربي يذهب الى بلد عربي ليطلب من حكومته الضّغط على المتظاهرين ليوقفوا ممارسة حقّ وأسلوب ديمقراطي تستعمله جماهير شعبه هو عدة مّرات في السنة لطرح مطالبها. مرّة أخرى ما هو مقبول في شمال البحر الأبيض المتوسط المتمدّن مرفوض في جنوبه المتأخّر.

احدى صرخات الفيلسوف الألماني نيتشه هي: «الى أيّ مدى تستطيع الحقيقة أن تتجسّد؟ هذا هو السؤال، هذه هي التجربة» وبدورها من حقّ الشعوب العربية أن تطرح سؤالاً مماثلاً على نفسها: الى أيّ مدى ستذهب حقيقة الخداع الأمريكي والعربي الرسمي في تعاملها مع قضية الديمقراطية وحق الشعوب العربية في ممارستها بصدق وبدون تزييف كما يفعل عباد الله الآخرون؟ فالولايات المتحدة الامريكية يصر على أن لا تحمل شجرة الديمقراطية في أرض العرب الاّ ثماراً تأكلها هي من دون غيرها، والاّ فأنهم على استعداد لاجتثاث جذور تلك الشجرة. والأنظمة الرسمية العربية تفزع من أي ممارسة ديمقراطية في أي بقعة عربية اذا كانت ستحمل معها رياح تغييرات كبرى في المشهد السياسي الاقليمي. ومن أجل أن لا تتغيّر التوازنات ستسكت عن ممارسات الذّبح الهمجي في تلك العاصمة وحدوث ظلم مفجع لهذه الجماعة أو تلك في عاصمة أخرى. وفي جميع الحالات فاننا نشهد عوامل لا دخل لها من قريب أو بعيد بالديمقراطية تحدّ المشهد الديمقراطي العربي بل وتعصف به. يحدث ذلك اذا قامت مظاهرة قد لاتكون في صالح هذا أو ذاك ويحدث ذلك اذا جرت انتخابات قد تكون نتائجها في غير صالح هذا الفريق أو ذاك. وننسى أن في قلب الديمقراطية احداث تغييرات مجتمعية دائمة وليس المحافظة على الأوضاع غير المعقولة.

في ارض العرب المنكوبة ليس المطلوب فقط شرح الديمقراطية وأهميتها لاقناع الشعوب العربية بمزايا احتضانها كطريقة حياة، وانما المطلوب أيضاً وبقوّة تبديد الأوهام التي تحيط بموكب قدومها لزفافها. لعنات الأوهام في حياة العرب ستتحدّى أقدس المقدّسات فشكراً لمجانين الغرب ولمجانين الحكم في بلاد العرب.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 420 57364 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN